المقياس: البيواتيك

ماستر: فلسفة تطبيقية

الأستاذ: احمد امبارك

المحاضرة الأولى

في تاريخ الثورة البيولوجية

1- الخلفية التاريخية للبيواتيك (الجذور وأسباب الظهور واهم الإشكاليات)

مدخل:

تتمثل الثورة البيولوجية في البوادر التي ظهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر،مما يعني ارتباط هذه الثورة البيولوجية بالفكر الفلسفي عامة،وتطور الفكر البيولوجي خاصة.

لقد افرزت هذه الثورة البيولوجية من تقنيات طبية وتاثيرها على المجتمع وانعكاس ذلك على الفلسفة ونظرتها الى الطبيعة والوجود والحياة، كما أدى هذا التطور الى جملة من التساؤلات الأخلاقية او مايسمى اليوم بالبيوتيقا bioetikue وتبني مختلف الهيئات لها الدينية و الاجتماعية.

لقد عرف العصر اليوناني دراسات جادة في هذا المجال البيولوجي حيث قدم ارسطو (322.384 ق.م) حول بنية الكائن الحي من خلال كتابة مقالة في تاريخ الحيوان، كما قام بتصنيف الكائنات الحيةوهي أولى المحاولات في علم البيولوجيا وفي هذا الاطار يقول جورج سارتون في كتابة تاريخ العلم " ان الباحثين في علم الاحياء في عصرنا الحاضر لتغزوهم الدهشة وهم ينظرون في كتب ارسطو المتصلة ببحوثهم، كما قام تلميذه يثوفراسطس theophiaste (288.372ق.م)فهو اول عالم نبات ولقبه جورج سارطون اول عالم نبات، لكن بالرغم من النظرة العلمية التي تتمتع بها اليونان، لكن جهودهم منقوصة في القدرة على النهوض لعجزها على استنباط النظريات العلميةفي مجال البيولوجيا وهو ما يؤثر على دقة النتائج العلمية

لقد ارتبط تأخر علم البيولوجيا الى عدة أسباب يرجعها الباحثون الى عدة عوائق أبستمولوجيا تقلل هذا التاخر بالمقارنة مع علوم المادة الفيزيائية والكيميائية منها:

1- قدسية النظرة للكائن الحي خاصةالانسان وتتمثل في حرمة الانسان حيا او ميتا، فالإنسان صورة من صور الكمال في الكثير من الحضارات

اما في العصور الوسطى فقد تناول الفلاسفة القضايا من زاوية عقيدية وحاولوا ربط العلاقة بين الانسان وذاته وما يحيط به من خلال علاقته مع الله وهو سعية الى كبت الطبيعة البشرية لما فيها من فساد وتشتت وهو ما يعلل حاجتها الى التقويم وهو شعور بالخطيئة الذي لازم الانسان حتى العصور الحديثة.

وفي العصور الحديثة حاولت الفلسفة نزع قيود الدين عل الفكر وبدا الاهتمام بالإنسان في حد ذاته وبدا الاهتمام في حد ذاته كغاية كما اكد هيجل (1831.1770) في كتابة " أصول فلسفة الحق" الذي أكده كانط (1804.1724) ، كما طالب جون استوارت مل بالخير الأعظم الانسان(1873.1806).

كما ظهرت أفكار جديدة تعمل على الاقتناع بالطبيعة والاستغناء عن كل ما هو فوقها، وهي الفكر الأساسية للمذهب الإنساني وتجسدت هذه الفلسفة في الجملة على الفلسفة المدرسية والتهكم من بحوثها وتبني رؤية علمانية الانسان والمجتمع والدولة .

ومن اهم أسباب تأخر البيولوجيا الفهم الضيق للدين والذي يحرم البحث في التركيب الداخلي للكائن الحي وسيطرة الكنسية على العلم، الى جانب تعقيد المادة الحية وهو الامر الذي تبط مسار البحث البيولوجي الى غاية بداية القرن التاسع عشر.

بداية الثورة البيولوجية واسبابها

لقد امتد تاثير الفكر العلمي اليوناني و الإسلامي للعصور الحديثة،حيث ترجمت كتب الطب اليوناني و الإسلامي ،التي كانت تعتمد على أسس علمية و طرائق البحث و الاكتشاف ،حيث فرضت فيزياء نيوتن مبدأ التفسير الحتمي الذي يسري على جميع الظواهر و أصبحت جميع الظواهر قابلة للدراسة التجريبية بما في ذلك المادة الحية،و قد تاثر عمل البيولوجيين بهذا الفكر العلمي و عليه حاولو تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة الحية ،و كان من نتائج ذلك تغيير نظرة العلماء الى الحياة و يظهر هذا في كتاب "دروس في الفلسفة الواقعية" ،و كتاب:"مقال في الروح الواقعي "لاوغست كونت (1857.1798) ،هذا المذهب الذي يرى ان اليقين لا يتحقق الا في العلوم التجريبية ،هذا يعني أن كونت لا يفكر كمنافس للعلم ،بل على العكس يجب التوجه الى العلم للتأكد من صحة جميع معافنا.

لقد عارض اميل بول ليتري (1881.1801) الميتافيزيقا كطبيب واسس جريدة طبية تحت اسم:"التجربة" و كذلك نجد هربرت سبنسر(1903.1820) الذي يذهب الى ان المعرفة تنحصر في جملة العلوم الواقعية و بذلك يستبعد الميتافيزيقا،الى جانب الفيلسوف النمساوي "ارنست ماخ"(1956.1838)الذي عارض الميتافيزيقا بشكل كلي.

لقد ظهرت بوادر الثورة البيولوجية مع الرحلات العلمية لجمع المعلومات حول الحيوانات و النبات لكنها تعتمد فقط على تصنيف هذه الكائنات و احصاءها ،اما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام بوظائف الكائن الحي و من اشهر العلماء كلود بارنار(1878.1813) و هي الفترة التي حاول فيها العلماء تقديم تفسيرات لكثير من مظاهر الحياة، و تاتي هنا مساهمة تشارز داروين(1882.1809) في كتابه "اصل الانواع "ثم تطورت على يد لامارك(1829.1744) الذي عرض أفكاره في كتابه" علم الحيوان" بين فيه علاقة التطور بالبيئة و انتقال الصفات المكتسبة بالوراثة .

استعملت كلمة البيولوجيا اول مرة في القرن التاسع عشر على يد العالم الألماني تريفرانوس TREVIRANUS في كتابه PHILOSOPHIE DE LA NETRE VIVANTE و فيه يرى ان البيولوجيا هي التامل في مختلف

الظواهر و اشكال الحياة و شروطها ، كما ظهر مصطلح البيولوجيا في كتاب لامارك "علم الينابيع" و فيه وضع علم الاحياء كقسم من اقسام الفيزياء الأرضية ،اما الفضل يعود الى العلم الإنجليزي توماس هكسلي (1825.1895) في نشر الكلمة .

نستنتج مما سبق ان مجال البيولوجيا واسع بحكم كثرة مواضيعا لكن كلمة البيولوجيا العامة BIOLOGIE GENERALE هي اكثر الكلمات تداولا في هذه الفترة.